

الدراسات النقدية السياقية في الجزائر "قراءة في كتاب النقد الجزائري المعاصر ليوسف وغليسي"

Contextual Criticism Studies in Algeria, Reading in Youcef Oughlissi's "The Modern Algerian Criticism"

ط/د توتاي سيف الله هشام

المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة

toutayhicham@gmail.com

معروف حبيب

أستاذ محاضر قسم ب

المركز الجامعي صالحى أحمد، النعامة

habib.marouf@cuniv-naama.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/16

تاريخ الاستلام: 2025/03/14

ملخص:

شهد النقد الجزائري تحولات عدة عبر أربع مراحل مهمة، بدءاً من النزعة الإحيائية التي تجسدت في جهود الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث ارتكز فلسفته النقدية على إحياء التراث العربي الإسلامي والدفاع عن الهوية الثقافية في مواجهة الفكر الاستعماري، ومع منتصف القرن العشرين بدأ التفاعل مع المناهج الغربية نظراً لذلك الانفتاح على النقد الحديث، مما أدى إلى تبني المناهج السياقية مثل النقد التاريخي والاجتماعي، كما يظهر في أعمال عبد الله الركيبي ومحمد مصايف، حيث أضع النص الأدبي للبنية الاجتماعية والوظيفة الأيديولوجية رغم ذلك، واجه النقد السياقي عوائق عدة من أبرزها هيمنة الإرث الاستعماري من جهة وسيطرت التيار التقليدي المحافظ من جهة أخرى، فحدّ من تطوره لكن في العقود الأخيرة انتشرت الدراسات الأكاديمية التي حاولت تطبيق المقولات النفسية والتاريخية والاجتماعية على النصوص، ساعيةً إلى إرساء خطاب نقدي أكثر منهجية.

الكلمات المفتاحية: النقد، النقد الجزائري المعاصر، السياق، يوسف وغليسي

Abstract:

The Algerian criticism scene has witnessed many transformations through four significant phases. Starting from the revival tendency which was embodied in the efforts of Cheikh El Bachir EL Ibrahimi, which focused on reviving the Islamic Arabic folklore and preserving the cultural identity in the face of the colonial influence. By the mid-twentieth century, there was a shift towards western approaches due to openness on modernist criticism which in turn led to adopting contextual approaches such as, the historical and social criticism, as it occurs in the works of Abd-Allah Al-Rukaibi and Mohammed Msayef. As a result, the literary text was bent to the social and ideological function structures. Nevertheless, the contextual criticism several challenges, most significantly; the dominance of the colonial legacy on one hand and the overwhelming presence of the traditional conservative trends on the other hand. Hence, its limited progress and development. However, in the last decades, there was a spread in the academic studies which attempted applying psychological, social

and historical theories on the literary texts in pursuit of a more methodological literary criticism discourse.

Keywords: criticism, modern Algerian criticism, context, Youcef Oughlissi.

. مقدمة:

يُعَدُّ النقد الأدبي ميداناً متطوراً باستمرار، لأنه يخضع لتأثيرات معرفية ومنهجية متعددة تتباين وفق التحولات الفكرية والثقافية لكل حقبة زمنية، وقد شهد النقد العربي، بصفة عامة تجاذبات معرفية تتجلى من خلال تلك المحاولات المحافظة على الأصالة والتراث من جهة، والانفتاح على المناهج الحديثة من جهة أخرى، مما أدى إلى ظهور اتجاهات نقدية متباينة في المنهج والرؤية.

والدرس النقدي في الجزائري لم يكن على منأى من تلك المراحل المتباينة التي مرَّ بها النقد، حيث بدأت مراحل تشكله بالاتجاه الإحيائي الذي ركّز على البعد التراثي، ثم انتقلت إلى تبني المناهج السياقية كالمناهج الاجتماعية والتاريخية، وصولاً إلى الدراسات الحديثة التي سعت إلى تطبيق المناهج النفسية والبنوية والسميائية على النصوص الأدبية، بيد أن هذا التطور لم يكن سهلاً؛ إذ واجه إشكالات عدّة، منها هيمنة المناهج التقليدية، وضعف التأسيس النظري، والتأرجح بين استيعاب المناهج الغربية ومحاولات تأصيلها في السياق العربي.

ومن هنا، تبرز إشكالية هذا البحث في دراسة مدى فاعلية هذه التحولات النقدية في تشكيل خطاب نقدي جزائري متماسك، ومدى قدرته على تجاوز المعوقات المنهجية والفكرية التي تواجهه في ظل التطور المقولات الحديثة.

1- مراحل النقد في الجزائر :

عرف النقد الجزائري تطوراً عبر المراحل التاريخية الأدبية، حيث يرى الدارسون في المجال الأدبي النقدي الجزائري أنه مرَّ بمراحل عديدة، وعلى رأسهم نجد أبو قاسم سعد الله الذي قسم هذه المراحل إلى أربعة مراحل وهي: أولاً مرحلة التقليد وإحياء التراث العربي القديم ونبذ الجديد ويمثل هذه الشيخ البشير الإبراهيمي، أما المرحلة الثانية فتمثلت في الجمع بين التراث العربي القديم والاستزادة والاستفادة من تطورات نقد الغربي الحديث، والمرحلة الثالثة هي بدايات تطبيق المناهج النقدية السياقية في الجزائر والتي هي موضوع دراستنا. فقد اهتمت هذه المناهج بدراسة الإبداع الأدبي الجزائري وذلك من خلال البحث عن العوامل الخارجية التي أدت إلى نشأة هذا النص الأدبي .

وفي نظر مخلوف عامر تعود أسباب ضعف الحركة النقدية في الجزائر خلال المرحلة - المرحلة السياقية - في الساحة الأدبية الجزائرية إلى:

القمع الاستعماري الذي حاول أن يجعل الجزائر معزولة عن العالم العربي، وسيادة الفكر التقليدي الذي تمسك بالتراث العربي الذي كان يعد عند بعضهم سلاحاً يشهر في وجه العدو، يضاف إلى ذلك أن المتنورين أنفسهم من المثقفين سواء بالعربية أو الفرنسية انصب اهتمامهم على المجال السياسي قبل غيره.

التخلف الثقافي العام فالاستعمار لم يكن في صالحه تشجيع الثقافة والعلم، بل حرص على انتشار الجهل وبقاء الأمية، فلم يرث الفكر النقدي الجزائري قدرا كافيا من الموروث الثقافي الذي مس المشرق العربي بسبب الإقصاء المنهجي من الفرنسيين، وضعف حركة الترجمة والنقد في الثقافة الجزائرية. اتخذ الجزائريين موقفا عدائيا من اللغة الفرنسية وثقافتها، لأنهم كانوا ضد كل ما هو فرنسي، الأمر الذي أحال دون الاستفادة من الأدب والنقد الفرنسي.

2- المناهج النقدية السياقية في الجزائر:

تبحث المناهج النقدية السياقية عن الماهية الخارجية التي تضمنها النص الإبداعي، ويعتمد في دراسة النصوص على البحث في العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية والتاريخية التي مرّ بها كاتب النص، فهي تعدّ النص مرآة عاكسة للواقع الخارجي الذي عاشه المبدع، وكذا عن: "العلاقات الخارجية قيمتها وأهميتها، فلا يصدر العمل الفني عن فراغ فكري أو اجتماعي، إذ لا بد من مبدع ولا بد لهذا المبدع من موقف اجتماعي من قضية فئة، ومن هنا نستشرف في الدرس الأدبي دور هذا المبدع في إنتاج النص وصياغته الجمالية، ثم نظهر دور الواقع الاجتماعي الذي أثر في المبدع والعمل الفني على السواء".¹

2-1 المنهج التاريخي في الجزائر:

بدايات تأثر الكتاب والنقاد الجزائريين بالمنهج التاريخي يعود في نظر يوسف وغليسي إلى مطلع الستينيات من هذا القرن، وهو: "البوابة المنهجية الأولى التي فتحت الخطاب النقدي الجزائري عينه عليها... وعلى وجه التحديد فإن سنة 1961 هي تاريخ الميلاد الرسمي للمنهج التاريخي في النقد الجزائري، وهي السنة التي ظهر فيها كتاب الدكتور أبي قاسم سعد الله عن الشاعر محمد العيد آل خليفة، وهو في الأصل رسالة ماجستير أشرف عليها الدكتور عمر الدسوقي، تلتها رسائل ودراسات أخرى لأقطاب هذا المنهج كالـدكتور عبد الله الركيبي، وصالح خرفي ومحمد ناصر وعبد المالك مرتاض وغيرهم".²

2-1-1 أبو قاسم سعد الله:

يمثل أبو قاسم سعد الله التجربة النقدية المنهجية الرائدة في تمثّل المنهج التاريخي، فرغم أن التأريخ السالف ذكره 1961 الذي يمثل التأريخ الرسمي الصارم لتبني المنهج التاريخي في الجزائر، إلا أن ذلك لا يلغي ما نشره أبو القاسم سعد الله في الدوريات والصحف العربية التي جمعها لاحقا ونشرها في كتابه المعنون بـ "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، وكتابه المعنون بـ "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة" يعلن الكاتب مذ الوهلة الأولى عن منهجه في معالجة شعر محمد العيد آل خليفة، وهذا بعد حصوله على نسخة من الديوان فحاول تشريح النص وفق المنهج التاريخي حيث صرح بذلك: "عكفت مدة على دراستها وربطها بالأحداث والمناسبات التي قيلت فيها، وتتبع تطور الشاعر خلال تجربته الشعرية الطويلة، ووضعت في الميزان مع رفاقه الشعراء، وفي الإصلاح، وفي السياسة، وخرجت بعد كل ذلك بهذه الدراسة التي لا تعدو أن تكون جولة في ديوان، وانفعالا بأحداث، ورؤيا في تجربة إنسان شاعر".³

وعليه تقصى أبو القاسم سعد الله الحياة الشخصية واهتم بها في تفسير شعر محمد العيد آل خليفة، وتكوينه الثقافي والسياسي وظروفه الاجتماعية التي عاش فيها وانعكست على أعماله الإبداعية، وهي من بين ما يهتم به المنهج التاريخي في دراسة النصوص الأدبية، وقد قسم أبو القاسم سعد الله كتابه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وعنوانه بحياته، تفرع منه إلى ثلاثة فصول وهي: البيئة، النشأة والثقافة، وآراؤه وتجاربه.
القسم الثاني: عاج فيه شعره، وصنفه عبر تسعة فصول: بين عهدين ويقصد بها شعره قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها على غاية الثورة التحريرية، الشعر الاجتماعي، الشعر السياسي، الشعر الذاتي، شعر المجاملات، الحياة العربية في شعره، آسيا وإفريقيا في شعره، ومنزلته.
القسم الثالث: وهو قسم اشتغل فيه أبو القاسم سعد الله نماذج من شعر محمد العيد آل خليفة، وكان هذا الفصل أو القسم بمثابة تحقيق لقصائده وأشعاره، خاصة وأن دراسته كانت تشتغل على ديوان غير مطبوع، بل قصائد منشورة في الصحف والجرائد على غرار جريدة البصائر والشهاب.⁴

2-1-2 عبد الله الركيبي:

اختار عبد الله الركيبي المنهج التاريخي في دراسة النصوص الإبداعية بشقيها النثري والشعري، ففي كتابه المعنون بـ "القصة القصيرة" التي: "أعدّها سنة 1967 لنيل شهادة الماجستير من جامعة القاهرة يقول: اخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ. فالتاريخ هنا ليس مقصودا لذاته وإنما هو لبيان خط تطور القصة ومسارها العام. وكيف تطورت وما هي الأشكال التي ظهرت فيها. لأن الأدب يتطور بتطور حياة الإنسان، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور."⁵

وفي كتابه الموسوم بـ "الشعر الديني الجزائري الحديث" والذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه، يفصح عن المنهج المتبع والمماثل: "والواقع أننا اخترنا منهجا لهذا البحث، يجمع بين التاريخ والنقد... وأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم."⁶ فمجموع الوقائع والأحداث التي تقع في المجتمع والظروف التي يمر بها هذا المجتمع تنعكس في النص الأدبي.

2-2 . المنهج الاجتماعي في الجزائر:

ينطلق رواد المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى: "أن الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمعه، منذ تفكيره في الكتابة، وفي ممارسته لها، وعقب انتهائه منها، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب، وهو وسيلته وغايته في آن معا."⁷

وفي نظرهم لا بد للأدب أن: "يكون معبرا عن الروح القومية، ومشكلات الجماهير... وفي أن الأدب الحق يجب أن يكون تعبيرا عن الأفكار السياسية والاقتصادية والايديولوجية التي يؤمنون بها، وأعظم الكتاب عندهم هم أكثر تعمقا لمشكلات مجتمعهم، وتنبؤا بحاجاته وتعبيرا عن روحه، وحرصا على أن يكرسوا أدبهم لتحقيق هذه الغايات"⁸ فالإبداع الأدبي هو انعكاس لما يعيشه المجتمع، هو تعبير عن أفكاره وغاياته.

2-2-1 عبد الله الركيبي:

ألّف الدكتور عبد الله الركبي كتاباً عديدة درست الأدب الجزائري وبحث عن خصوصيات وميزات الإبداع الأدبي الجزائري، وربط دراساته النقدية بالظروف الاجتماعية التي مرت بها الجزائر ضمن إطارها السياقي التاريخي، فهو وإن أعلن اتخاذ المنهج التاريخي في دراسته للشعر الجزائري الديني في كتابه الموسوم "الشعر الديني الجزائري الحديث"، إلا أنه ركّز وفسر الشعر الجزائري وربطه بظروف المجتمع، حيث صرح قائلاً في كتابه: "على أن اهتمامنا انصبّ -في تحليلنا للنصوص الشعرية- على الجانب الاجتماعي وركّزنا عليه وربطنا بين الشاعر وبيئته، بين المنشئ وجمهوره، واعتبرنا الشعر لدى المنشئ تعبيراً عن ذاته، وفي الوقت نفسه تعبيراً عن ظروف المجتمع ومعطيات العصر، وما وجد فيه من أزمات روحية وفكرية وسياسية واقتصادية، وإذا كنا نلح على التفسير الاجتماعي للأدب دون إهمال للجوانب الأخرى، فلأننا نؤمن بأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم".⁹

طبق الدكتور عبد الله الركبي المنهج الاجتماعي في دراساته للشعر الجزائري معتمداً على السياقات الاجتماعية والظروف التي أثرت في إنتاج النصوص الشعرية، وفسرها وحللها وفق معطيات اجتماعية مرّ بها المجتمع الجزائري في الفترات التاريخية التي اتخذها أنموذجاً للدراسة، ليخص في دراسته أن الشعر: "الجزائري كيفما كان أسلوبه ومحتواه هو إنتاج عبّر عن قضايا شغلت أصحابه وأذهان الناس في عصر له مفاهيمه الخاصة وظروفه المعينة التي يصعب أن نطبق عليها مقاييس جدت بعد ذلك".¹⁰

نستشف من قوله أن لكل عصر من العصور التاريخية، الظروف الاجتماعية والأحداث والوقائع التي أثرت في إنتاج النصوص الأدبية، ولا يمكن تفسير نص أو فن أدبي خارج عصره الذي ينتمي إليه، فلا بد أن يفسّر الأدب في السياق التاريخي الذي ظهر فيه.

أما في كتابه المعنون بـ "قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر" وهو في: "مجملة سرد تقريرى لانعكاس الواقع في النص بلغة القضية والموضوع والمسيرة والمواكبة والنضال ومشتقاته، تنعزل فيه البنية الفنية وتتأخر إلى آخر لحظة منفصلة على مضمونها، وعبر صفحات محدودة لا تتجاوز ثمن صفحات الكتاب".¹¹ اهتم الدكتور عبد الله الركبي بالسياق الخارجي وبانعكاس الواقع المجتمعي في النصوص الإبداعية الجزائرية على حساب فنياتها وجمالياتها.

2-2-2 محمد مصايف:

يعترف محمد مصايف في كتابه دراسات في النقد والأدب على منهجه المتخذ في دراساته النقدية، ويؤمن بأن للأدب رسالة اجتماعية، ولا بد للأديب أن يعبر ويلتزم وينير قضايا ووعي مجتمعه، فهو يرى أن: "رسالة الأديب الجزائري في الساعة الحاضرة رسالة مزدوجة: فمن جهة أولى ننتظر منه أن يكون لسان الطبقة الكادحة، ومن جهة ثانية ينبغي له أن يعمق الاتجاه العقائدي الذي تعتنقه وتسير عليه هذه الطبقة... ومن هنا كان علينا أن نتكلم عن هذه الرسالة، وأن نوضح الطريقة التي ينبغي للأديب أن يؤديها بها".¹²

ولا بد للأديب في نظره أن يراعي الحالة الفكرية والثقافية لمجتمعه عامة ولقراءه خاصة، ويراعي أسلوبه الفني الذي يكتب به، حيث: "ينبغي للأديب ألا ينسى كذلك أنه يكتب لقراء نصف مثقفين ولجماهير يهتمها أن ترى نفسها فيما يكتب عنها، لأن تذكره لهذه الظاهرة يجعله يعتني بعبارة، ويوضح أفكاره ومواقفه، فيظهر عمله في تناول أغلبية القراء، والقضية تخص اللغة والأسلوب، كما تخص المضمون ذاته".¹³

في هذه المرحلة وهي مرحلة ما بعد الاستقلال كانت الجزائر تعيش انتشار الأمية بين أوساط المجتمع الجزائري، ومن هنا فهو يؤمن كذلك بأن رسالة الناقد رسالة اجتماعية ويجب عليه ألا: "يغفل الجانب الاجتماعي في أعمال الأدباء، فيبين العلاقة التي تربط بين هذه الأعمال وبين تطلعات المجتمع، ومدى خدمة هذه الأعمال لآمال الطبقات العاملة المحرومة. فتحديد الناقد للاتجاه العام لا ينبغي أن يكون حياديا، بل ينبغي أن يمتحن مدى التزام الأديب بقضايا المجتمع، ولا يجوز له أن يجامل في الحكم على الأعمال التي تشذ عن الخط العام، وتخدم تطلعات غير مشروعة، أو تحي تقاليد أمست لا تتماشى مع ومطامح الجماهير الشعبية."¹⁴ فلا بد للأديب والناقد معا مراعاة الحالة الاجتماعية والظروف التي يمر بها المجتمع عام والجزائري بخاصة، فلا يمكن كتابة إبداع يتنافى واللحظة التاريخية التي يمر بها المجتمع، بل وجب التعبير عن مبتغاه وأحواله ومسيرة ظروفه.

2-3-2 واسيني الأعرج:

روائي وناقد وأكاديمي جزائري يمكن عدّه من الذين تحكموا وتغلغلوا في الجهاز المفهومي للمنهج الاجتماعي، وهذا ما يتضح في كتاباته النقدية التي اتخذ الرواية نموذجا لدراساته التطبيقية.¹⁵ لقد صوّر الأعرج واسيني في كتابه "تجربة الرواية الواقعية الرواية نموذجا دراسة نقدية" واتخذ روايات الطاهر وطار نماذج نصية لتطبيق آرائه النقدية، صور ورأى بأن ظروف المجتمع والتغيرات التي تطرأ عليه تؤثر على الأديب وتنعكس في نصه الإبداعي، وضمن كل اتجاه يدرس رواية برؤية اجتماعية، ففي رواية اللاز يرى أن وطار استطاع: "من خلال نموذج المختار زيدان، أن يحدد طبيعة القوى الاجتماعية التي لعبت دورا أساسيا في النضال الوطني وتحديد شكل وعيها الاجتماعي أيضا."¹⁶

أما في تحليله وتفسيره لرواية العشق والموت في زمن الحراشي يرى بأن الرواية تحاول: "أن تضع أصبعها على الصراعات الجوهرية، السائدة في المجتمع الجزائري -وبالضبط في المرحلة الوطنية الديمقراطية- بكل ما تحمل هذه الصراعات من إيجابيات وسلبيات، والتي تتزاحم في رحم الإنجازات الديمقراطية والثورة الصناعية على رأسها، وكذلك التطوع من أجل إنجاحها."¹⁷

2-3-3 مواصفات النقد الاجتماعي في الجزائر:

أورد يوسف وغليسي في كتابه النقد الجزائري المعاصر المواصفات التي تميز بها النقد الاجتماعي في الجزائر وهي كالآتي:¹⁸

احتل النقد الاجتماعي حيزا كبيرا في النقد الجزائري، حيث هيمن على الخطاب الجزائري بصفة شاملة خلال السبعينات وبداية الثمانينات والسبب راجع إلى الظروف الاجتماعية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترات الزمنية، ثم بدأ يتراجع مع بداية ظهور المدارس النقدية الألسنية والنقد الجديد. اهتم بدراسة النصوص السردية وطبق عليها بحجم كبير، ذلك لصلة النصوص الروائية والقصصية بنظرية الانعكاس، أكثر بصلتها بالنصوص الشعرية. غلب فيه على مضمون العمل الأدبي على الجانب الفني الجمالي، حتى عدّ التحليل الاجتماعي عند بعضهم لا يختلف عن تحليل أية وثيقة أخرى.

اختلاف المرجعيات بين النقاد الجزائريين، فمنهم من استمدّها من الأصول العالمية للفكر الواقعي مثل واسيني الأعرج، وبعضهم الآخر استمدّها من الوسائط النقدية العربية مثل عبد الله الركيبي ومحمد مصايف. لم تطرح قضية المصطلح أو إشكالية فوضى تعدد المصطلح في الجزائر للمنهج الاجتماعي، وذلك راجع لقلة رصيده من المصطلحات النقدية، ووظف من المصطلحات النقدية ما كان وثيق الصلة بالمنهج الاجتماعي وبقيّيته الرئيسة وهي الالتزام.

2-3 المنهج النفسي:

إنّ العمل الأدبي ثمرة صاحبه الذي أنتجه ومن: "الصعوبة أن يتشكل أدبي دون أن يكون هذا الأدب جزءاً أو بعضاً من نفس صاحبه أو من إحساسه بما حوله على أقل تقدير، وهذا يعني ببساطة أن الإنتاج الأدبي هو أولاً وقبل كل شيء إنتاج نفس بشرية لها نوازعها ورغباتها ووعيها ولاوعيها وطرائقها في التفكير والمعالجة." 19 هذه النفس البشرية تمر عبر مراحل تطور حياتها بظروف نفسية تتشكل في أعماقها وكامنة فيها، تجعل العمل الأدبي ما هو إلا انعكاس لمخاطات نفسة عاشها أو تأثر بها الأديب.

وتذهب النظرية النفسية أن في أعماق كل: "كائن بشري رغبات مكبوتة، تبحث دوماً عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك، ولما كان صعباً إخماد هذه الحرائق المشتعلة في لاشعوره، فإنه مضطر إلى تصعيدها؛ أي إشباعها بكيفيات مختلفة [أحلام اليقظة، أحلام النوم، هذيان العصابين، الأعمال الفنية]، كأن الفن -إذن- تصعيد وتعويض لما لم يستطع الفنان تحقيقه في واقعه الاجتماعي، واستجابة تلقائية لتلك المثيرات النائمة في الأعماق النفسية السحيقة، والتي قد تكون رغبات جنسية بحسب فرويد، أو شعوراً بالنقص يقتضي التعويض بحسب آدلر، أو مجموعة من التجارب والأفكار الموروثة المخزنة في الاشعور الجمعي بحسب يونغ." 20

2-3-2 أسباب عدم تطبيق المنهج النفسي في الجزائر:

يرى يوسف وغليسي في كتابه النقد الجزائري المعاصر أن تطبيقات المنهج النفسي في الخطاب الأدبية والنقدية في الجزائر أنه: "يعسر البحث عن موقع للنفسانية منه، وذلك راجع فيما نرى إلى قلة رصيد نقادنا من المفاهيم السيكلوجية، وإلى أن الجامعة الجزائرية {المعقل الرئيس للممارسة النقدية} لم تعتمد مقياس علم النفس الأدبي إلا في وقت متأخر، فضلاً عن أنه يوكل إلى أساتذة لا صلة لهم بعلم النفس عموماً، إضافة إلى أن صلة نقادنا بالنقد النفساني قد تزامنت مع غزو المناهج الألسنية الجديدة للساحة النقدية، وما سجله هذا المنهج من تراجع شامل على امتداد الوطن العربي" 21 ومن أسباب عدم تطبيق المنهج النقدي النفسي في الدراسات الجزائرية كباقي المناهج النقدية السياقية الأخرى التي شهدت تطبيقات كثيرة في الخطاب الأدبي الجزائري الحديث، ما دعا إليه بعض النقاد الجزائريين التشكيك في مدى استفادة النقد والأدب من دراسات علم النفس، ويأتي في طليعة هؤلاء النقاد الراضين لتطبيق المنهج النفسي في الدراسات الأدبية الجزائرية عبد المالك مرتاض، الذي يعد: "من ألد أعداء القراءة النفسانية التي وصفها بالمريضة المتسلطة، ثم راح في دراسته {القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي} يصب جام غضبه على المنهج النفسي القائم على افتراض مسبق يتجسد في مرضية الأديب، وإذن مرضية الأدب، بل أدبية أمرض، فكأن هذا التيار لا يبحث إلا عن الأمراض،

فإن لم تكن، توهمها توها...لكي يبلغ غايته التي تتجسد في التماس الأعراض والأمراض ما ظهر منها وما بطن... والتي يجب أن تقارف الأديب وتلازمه ولا تزايله، فكل أديب - من وجهة نظر هذا التيار - مريض، وإذن فكل أديب نتيجة لذلك مريض أيضا."22

ثم يتحدث عبد المالك مرتاض عن عيوب المنهج النفسي وتطبيقاته في الدراسات الأدبية أنه: "اصطناع الإجراءات المنهجية عن الأدب وأجنيبتها تجعلها غير قادرة على تفجير مكامن النص وخفاياه، والتعسف في تأويل النص تأويلا جزئيا ومسبقا، ثم إن علم النفس وضع -أصلا- لمحاولة تفسير الأعراض الجنونية، فمن العسير عليه -بحكم الوضع والوظيفة والطبيعة- أن يضع يده على مركبات الجمال الفني للنصوص، كما أن الغاية من التحليل النفسي للأدب ليست قراءة الأدب في ذاته، وإنما اتخاذ النص الأدبي ذريعة لتأويل تصرفات الأديب من خلال ما أبدعه."23

2-3-3 عبد القادر فيدوح:

ومن بين المحاولات الأكاديمية الجزائرية التي حاولت تطبيق المنهج النفسي في الدراسات الأدبية نجد عبد القادر فيدوح في كتابه الموسوم الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي والذي هو في الأصل رسالة دكتوراه، فهو يرى أن المنهج النفسي يساهم في: "الغوص في مكونات الذات المبدعة العميقة الأغوار لاستكشاف مضامين هذا النص الأدبي، واستجلاء ما بداخله من حقائق مصير الإنسان المستمدة من وجود مستوى الخبرة الإنسانية، وهنا يأتي دور التعامل مع الأسلوب السيكلوجي عن طريق استقصاء النصوص، واستقراءها لإزاحة ما خفي من تجارب الفنان -بوصفه يعكس الضمير الجمعي- لتكوين حياة الإنسان الواعية، ويستدعي أسرار الحياة الخفية."24

كما دعا عبد القادر فيدوح إلى تطبيق نظريات المنهج النفسي في الدراسات الأدبية، لأن في نظره: "التعامل مع النص وفق منظور سيكلوجي، يمنحنا قراءة خاصة عبر صياغته الفنية التي تحمل في ذاتها رؤية لعالم الإنسان الخفي، واستدعاء تجليات اللاشعور الجمعي."25 رغم هذه الدعوة الصريحة من الدكتور عبد القادر فيدوح لتطبيق المنهج النفسي في الخطابات الأدبية الجزائرية الحديثة إلا أنه كان أكثر النقاد زهدا في هذا المنهج أثناء الممارسة النقدية التطبيقية المتعددة.26

2-3-4 محمد ناصر:

ووجدت لمحات وشذرات نقدية في النقد الجزائري تتحدث عن المؤثرات النفسية في التجربة الإبداعية والأدبية المدروسة، فعلى سبيل المثال نجد محمد ناصر يتحدث عن المؤثرات النفسية في الشعر الجزائري حيث يرى: "أن الشعراء أنفسهم ليختلفون اختلافا بينا في درجات الانفعال، فمنهم المتفائل، ومنهم المتشائم، منهم الصبور المتحمل، ومنهم القلق...وهنا لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار شخصية الفرد... إذ يمر بالنفس الحساسة التي سئمت القيود الاجتماعية والقيود الأدبية، وتاقت إلى الثورة والتحرير، والهروب إلى عالم أفضل ولو كان من صنع الخيال... هذه المميزات النفسية التي تميز شاعرا عن آخر."27

2-3-5 سليم بوفنداسة:

ومن الباحثين الجزائريين الذين طبقوا النقد النفسي في دراستهم للأعمال الإبداعية الأدبية الجزائرية سليم بوفنداسة في بحثه الأكاديمي الموسوم بـ "عقدة أوديب في روايات رشيد بوجدة -دراسة تحليلية- ويذكر الباحث أسباب اختياره

لروايات رشيد بوجدرّة كنماذج للدراسة والتحليل ليس باعتباره أكثر إنتاجاً، إنما عد ظاهرة في المجتمع الجزائري أولاً بسبب تصريحاته ثانياً الموضوعات المتناولة في رواياته وتعد في المجتمع الجزائري طابوهات لا يمكن الحديث عنها، ثالثاً وجود قرائن تسهل ويستفيد منها الدارس النفسي بسبب التصريحات، وقد تطرق الدارس أيضاً إلى التعريف بعقدة أوديب والتي هي رغبات الحب والعداء التي يعيشها الطفل، الميل إلى الأم والنفور من الأب إذا كان ذكراً والعكس فيما يخص الأنثى. 28

وقد وصل سليم بوفنداسة في بحثه إلى: " تأكيد الفرضية التي انطلق منها، وهي أن رشيد بوجدرّة لم يحل عقده الأوديبية، فهو إذن - من تحصيل الحاصل - مصاب بالعصاب **Nevrose** وهي النتيجة التي أفلقت اللجنة المناقشة على اعتبار أن العقدة الأوديبية ليست قانوناً علمياً حتمية بل هي مجرد فرضية. " 29

فلا يمكن إطلاق حكم أو صفة أو تلصيق بالروائي: " بوجدرّة مرضاً سيكولوجياً كالعصاب انطلاقاً من رواياته؛ لأن الأثر الفني ليس انعكاساً مطلقاً لسيكولوجية صاحبه. ولكن الباحث يفند الحجة الأخيرة باعتراّف بوجدرّة نفسه بالدور الأساسي والجوهري لطفولته في كتاباته الروائية، وأن المطابقة سهلة بين طفولته في الواقع وطفولته في النص، وأنه هو نفسه بطل رواياته. " 30

خاتمة:

نستنتج أن النقد الجزائري قد شهد تحولات عديدة عبر مراحل مختلفة، متنقلاً من استهلاك التراث إلى استيعاب المناهج الغربية، ثم إلى محاولات تأسيس خطاب نقدي أكاديمي أكثر دقة وموضوعية، فالبرغم ما حققه من تطور في توظيف المناهج التاريخية، النفسية، والاجتماعية، لا يزال يواجه تحديات تتعلق بإشكالات التأصيل والتحديث المنهجي، مما يجعل مستقبل النقد الجزائري مرهون بقدرته على تحقيق التوازن بين الخصوصية الثقافية والانفتاح المعرفي

رغم تأخر النقد الجزائري عن مواكبة النقد الغربي الحديث والمعاصر، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى الظروف التي كانت سائدة آنذاك، والمتمثلة أبرزها إلى الاستدمار الفرنسي ومنع التواصل مع الآخر - سواء العربي أو الغربي - إلا أن النقد الجزائري صاحب الإبداع الجزائري.

تأثر النقاد الجزائريين بالمناهج النقدية الغربية الحديثة، والتي كانت في معظمها عن رسائل وأطروحات جامعية أكاديمية أمثال دراسات أبو قاسم سعد الله وعبد الله الركبي إلخ.

5- الهوامش:

- 1- ينظر، أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 80-81.
- 2- ينظر، مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دار الأمل، الجزائر، 2008، ص 32/33.
- 3- عبد الله خيضر محمد، مناهج النقد السياقية والنسقية، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 19
- 4- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 22.
- 5- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 23.
- 6- ينظر، يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 23.
- 7- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 25.

- 8- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر ص 26.
- 9- صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، دار نينوي، دمشق، سورية، ط1/2015 ص 101.
- 10- مصطفى السيوف و منى غيطاس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1/2010 النقد الأدبي الحديث، ص 153.
- 11- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر ، ص 43/42.
- 12- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 43.
- 13- نفسه، ص 44.
- 14- محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، ص 64
- 15- نفسه، ، ص 67.
- 16- محمد مصايف، دراسات في النقد والأدب، ص 22
- 17- ينظر، يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 50.
- 18- الأعرج واسيني، الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، 1989، ص 45.
- 19- نفسه، ص 61.
- 20- ينظر، يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 60/89.
- 21- بسام قطّوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة، دار فضاءات، للنشر والتوزيع، الأردن ص.40
- 22- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3/2015 ص 22.
- 23- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 82.
- 24- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 28.
- 25- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 29.
- 26- عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ص 8.
- 27- نفسه، ص 9.
- 28- ينظر، يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 82.
- 29- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2/2006، ص 123.
- 30- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 86/85.
- 31- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص 88.
- 32- نفسه، ص 88.